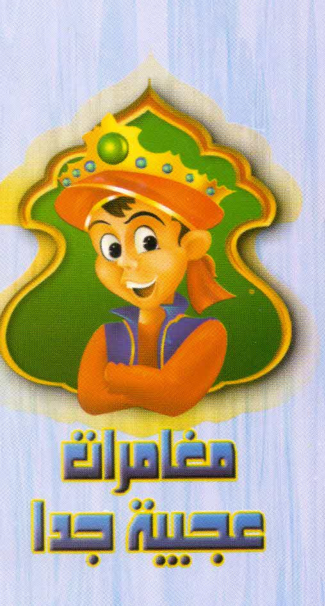

مغامرات مؤمن
جوهرة
17
عقلة الإصبع
دار الدعوة



جوهرة
عقلة الإصبع

الصـائغ .... أخـفى كـل
المجوهرات الثمينة فى خزانة لا يمكن
اقتحامها .. وضع مفتاحها بداخلها
واحتفظ بالنسخة الثانية فى سلسلة
حول رقبته .. ونحن لا نقدر
أن نأخذها .. لذا ....
لذا تريدنى أنا أن أحصل على -
المفتاح الذى فى رقبته
لا سيشعر بك .. إنه يشعر بدبيب النملة .
ولكن أنت ستدخل الخزانة وتحضر
.. لنا المفتاح الذى فى جوفها
كيف ؟ .. كيف ذلك -

دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع
٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية
تليفاكس / 3901914 - 3907998

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً ..

17

جـــوهـــرة

عقلة الإصبع

الطبعة الثالثة
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع القانونى

٩٨/١٦٩٤٨

الترقيم الدولى : 6-198-253-977

تحذير

لا يجوز تحويل هذه المغامرات إلى عمل سينمائى أو تليفزيونى أو إذاعى أو مسرحى أو شرائط فيديو إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناشر .

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى : ٢ ش منشا - محرم بك - الاسكندرية
☎ ٤٩٠١٩١٤ - ٤٩٠٧٩٩٨ - فاكس ٥٩٥١٦٩٥

جوهرة

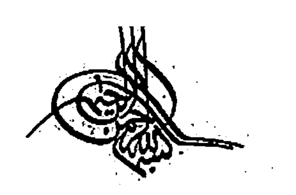
عقلة الإصبع

تأليف / علاء الدين طعيمة

رسوم / يسري حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكري





٥

أحيانا تحدث أشياء عجيبة لمؤمن .. فهو فى مغامراته العديدة يقابل ألوانا من الغرائب والمفاجآت، ولكن لم يكن يتوقع أبدا ما حدث له فى أثناء مغامرته الأخيرة .. لذا فقد حكى لنا بنفسه أحداث هذه المغامرة الشيقة التى انتهى توا منها فقال:

الحمد لله رب العالمين .. الحمد لله .. لقد رأيت عجبا وحدثت لى أحداث مثيرة .. فعندما انتهيت من المغامرة الأخيرة والتى حصلت فيها على جوهرة الديناصور سام .. عدت فرحا إلى أمى ومكثت فى بلدى ردحا من الوقت .. حتى اشتقت لمغامرة جديدة.

على التاج كلمات مبهمة لم أقدر على تفسيرها..

٦

لذا .. توجهت من فورى إلى المسجد وأردت أن أصلى صلاة الاستخارة .. وكان الوقت ليس بوقت صلاة فلم يكن هناك غير رجل غريب المنظر يرتدى ملابس ملونة وعلى رأسه طرطور أحمر .. كان يبتسم لى بعد أن انتهيت من الصلاة .. فسلمت عليه.. فقال لى : تعال لندعو الله عز وجل أن يفرج عنا الحزن والهم ويفتح لنا أبواب رحمته وعفوه ورضاه وبعد أن انتهينا من الدعاء .. أجلسنى بجانبه ومد ذراعه للأمام وكان يرتدى جلبابا له كم واسع وأشار لى أن أنظر فى كم الجلباب .. وفعلت .. فإذا بى أرى عجبا .. لقد كان الكم من الداخل كأنه طريق ممتد ووجدت نفسى لدىّ رغبة شديدة فى السير فى هذا الطريق .. ولم أتساءل .. هل هذا يعقل أم لا ؟ وكيف سأدخل فى كم رداء الرجل؟ ..

بل أحسست بيده الأخرى تدفعنى للداخل . كان هناك نور ينبثق من داخله وأخذت أولاً أحبو على ركبتى .. ثم وجدت الطريق يتسع حتى أصبح من الممكن أن أسير واقفا .. وعلى الفور اندفعت أتقدم مهرولاً لأعرف إلى أين ينتهى بى .

كان الجو ترابيا إلى حد كبير .. وتشعبت الطرق فيما بعد إلى حارات كأنها محفورة فى جبل ... بل كان لدى شعور بأنها سراديب فى باطن الأرض .. فالجدران رطبة لحد ما .. وهى تميل لأن تكون ترابية عن كونها حجرية .

كان الظلام شديدًا .. فأخذت أسير متحسسا عسى أن أهتدى وانطلق شعاع نور عن يسارى فتوقفت وتراجعت خطوة فرأيت بصيص نور على البعد ، فاندفعت أجرى حتى خرجت من فوهة

السـرداب إلى سطح الأرض .. ووقـفت أنظر حولى.. إنها صحراء شاسعة .. ويبدو أننى خرجت توا من جب قديم .. وأخذت أتساءل .. ترى أين أنا الآن ؟ .. وهل أنا مـا زلت فى كُم الدرويش الغريب؟ .. نظرت حولى كانت هناك جبال ترابية عالية وتلال أقل ارتفاعا .. بذلت جهدا حتى أطوف بالمكان .. وكان هناك واد فسيح .. به حقل اخضر ولكن نباته كان كبيرا عـاليا .. فلأول مرة أرى عشبا بهـذا الارتفاع .. ودفـعنى الفضـول إلى أن أزور الحقل.. وذهبت .. ولا أبالغ إذا قلت:إننى فى البداية سخرت من عملقة هـذه الأعشاب .. التى تبدو لحد كبير شبيهة بنبات الأرز الذى نزرعه فى بلادنا .

كان الجو صحوا .. ولكن المكان مـستغربٌ لحد كبـير .. وفكرت أن أتسلق هذه الأعشاب العـالية

لأستطلع المكان جيدا .. ولكنى قبل أن أشرع فى ذلك .. سمعت صوتا يأتى من فوهة الجب الذى خرجت منه .. ما هذا ؟ .. يا إلهى .. لقد كدت أن أصعق من هول المفاجأة .. إنها نملة .. نعم نملة .. ولكن نملة عملاقة .. خرجت من فوهة الجب واتجهت بسرعة إلى فوهة أخرى .. وأخذت تصدر حركات غريبة كأنها تستدعى أحدًا أن يخرج وانتهزت هذه الفرصة فأخذت أجرى وأجرى حتى اختبأت وراء تل من التلال المنثورة فى المكان وجعلت أراقب ما يحدث .

خرج من الفوهة العديد من النمل العملاق .. هكذا كنت أظن فى البداية .. وبعد ذلك تحرك طابور طويل نحو الأرز العملاق .. أمر مخيف أن تشعر بالضآلة يا صديقى أمام كل شىء حولك .. ما بال

هذا المكان هكذا .. كل ما فيه عملاق ؟

كان النمل مـخيفـا على هذا النحو .. لم أكن أتصور أبدًا أن النمل الذى يملأ الشـقوق فى بيتنا .. بلونه الأصفـر .. والذى يتحـرك دون أن نسمع له صوتا .. أو نشم له رائحة .. ننام وهو يتحرك حولنا مـشغـولاً بما لا ندرى . لم أتصور أن يكون بهـذه الأحجام المخيفة .. آه .. آه لو اقتربت منى واحدة من هذه السفن العملاقة لفتكت بى بمخلبيها المخيفين .

ولكنى دهشت دهشـة عظيـمـة بعـد ذلك .. وسأقص عليكم ما رأيت . اقـترب النمل من الحقل وكانت النباتات بالنسبة له عالية شديدة الارتفاع وإذا بالنمل يتـسلق هذه الأعشـاب .. البعض يتـسلق والآخر يقف أسفلها ثم أخذ المتسلق ينتزع حبات الأرز العـملاقة مـن سنابلها ثم يلقى بهـا من علٍ

فيلتقطها الذى ينتظرها أسـفل الزرع ويحملها بقوة واقتـدار ويجرى عائدا إلى فوهة الجـحر .. وهكذا دب نشـاط غريب فى المكان .. الـكل يعمل بجـد ونشاط وتعـجبت .. من ذا الذى زرع هذا الأرز فى هذا المكان المقـفر من البـشر .. وقـبل أن أزيد فى حيرتى .. وجدت إجابة حاضرة .. فلم أكن أنتبه أنه فى رقعة أخرى من الأرض قـوات مدرعة من هذا النمل المخيف تعمل بجد ونشـاط عجيبين .. هناك نمل يسوى الأرض وآخر يضع البذرة ويجرى ليأخذ غيرها من الجُحر وآخر ينسق البذور فى الأرض .. يا إلهى .. النـمل يزرع ؟ النمل يزرع الأرض مـثل الإنسان ؟ .. سبحان الله .. يا إلهى لقد تذكرت لقد حكى بعـضهم ذات مرة أن النمل الـذى تعرض له جيش سليمان نبى الله عليه السلام .. وسمعه سليمان أثناء

مـروره بالجيش .. أن نملة حـذرت بقيـة النمل من جيش سليمان .. لقد قال تعالى فى القرآن الكريم :
﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

نعم نعم .. لقـد قـيل لى : إن هذا النمل الذى تعرض له سليمان .. كان يزرع الأرض .

يا ربى .. ماذا أنا فـاعل الآن ؟ ما الذى أتى بى إلى هذا المكان ؟

وقبل أن أتم كلامى وجدتنـى أجذب من سترتى لأعلى .. ثم ارتفـعت معلقـا فى الهواء وأخـذت

أصرخ:

ـ ما هذا ؟ .. اتركنى .. من أنت ؟

ولم يجب .. ولكنى أدركت أن نملة قد أحست بوجودى .. فقامت بدورها وقبضت على اللص الذى من المفترض أنه أنا .

ونظر لى النمل .. الكل ينظر نظرات خاطفة ثم يعود إلى عمله كأنه لم ير شيئا .. وفى نفس الفوهة التى خرجت منها دخلت معلقا .. ثم اتجه الجندى الذى يحملنى فى طرق ملتوية .. تارة مظلمة وتارة مضاءة ولم يكن يهمنى غير السرعة التى يتحرك بها هذا الجندى الهمام وهو يحملنى لأننى فى المقدمة .. ولم يكن بوسعى إلا الصراخ .. وفجأة توقفت أمام كرسى عرش ملك النمل الذى سأل الجندى النشيط:

١٤

ـ ما هذا ؟

ـ يبدو يا سيدى أنه لص .. لقد عثرت به يتلصص على المزارعين .

ـ ماذا أتى بك أيها الإنسان الصغير ؟

كدت أضحك من حالى وهذا الملك يصفنى بالإنسان الصغير وكان علىّ أن أجد إجابة سريعة .. ولم تكن فى ذهنى إجابة شافية .. فأنا فى الحقيقة لا أدرى لماذا أنا هنا الآن ؟!

ـ لا أعرف يا سيدى الملك .. لا أعرف .

ـ هذه ردود اللصوص .. ماذا بكم يا معشر الإنس؟ .. ألا يكفيكم النعم التى أنعمها عليكم ربنا عز وجل حتى تأتى أنت لتسرق محاصيل النمل ؟

ـ عفوا يا سيدي.. أنا لست بسارق.. ولكن

الحقيقة .. أنني تواجدت فى مزارعكم رغما عنى ..
لقد قادتنى قدماى فحسب .. لم يكن أكثر من الفضول .

ـ أيها الحارس .. يبدو أنه ولد شقى .. ولا أعتقد أن محصول الأرز يهمه فى شىء .. أره الطريق إلى البيت .

لم أجد سعادة أكثر من تلك .. لقد شكرت الملك فى صدرى.. ولكن الحارس كان له رأى آخر.

ـ سيدى الملك .. لم ير أحد منا إنسانًا بهذه الضآلة من قبل لماذا لا يكون من معسكر النمل قاطع الطريق أو آسر العبيد .. أو يكون من معسكرات النمل اللص .

ـ آه .. وكيف تحول إلى إنسان ؟

ـ سيدى .. قد لا يكون إنسانا ..



كدت أن أجف من الرّعب ووجه الملك يتغير وتنتصب قرونه .. ولا أعرف ما الذى دعاه بعد كل هذه المخاوف أن يأمر الحارس بإرسالى إلى البيت.

وحملنى الحارس كما أتى بى .. وبنفس السرعة المخيفة أخذ يتعرج فى السراديب المتشابهة .. ورغم كل هذا الخوف كنت أتساءل .. هل أنا سأعود إلى بيتنا وإلى أمى ؟

كان الظلام دامسا فى ذلك المكان الذى قذفنى فيه الحارس وتركنى وغادر وتساءلت :

هل من المفترض أننى الآن فى البيت ؟ ولم تطل حيرتى .. هناك صوت أقدام تقترب منى .. هل هى لأمى ؟ لا أظن .. فأنا حقيقة لا أشعر أننى فى بيتنا.. ثم إنها خطوات ثقيلة أما خطوات أمى خفيفة بسريعة .

ودخل شخص المكان .. وأشعل مصباح زيتى .. كان أول ما وقعت عليه عـيناى وعلى الفور كتمت صرخة كادت تفضح وجودى .

لم تختلف حجرة المطبخ التى تركنى فيها حارس النمل عن مملكته .. كل الأشياء هنا على غير العادة.. حتى السيدة التى دخلت وأضاءت المصباح .. شىء عجيب .

لا أعـتقـد أننى فى حلم طويل مـزعج .. وفى الحقيقة الـتى لا أنكرها أنى كنت أقف بجانب جسر معدنى يستند بطرفه السفلى على الأرض التى أقف عليها وبطرفه الآخر على حوض كبير يشبه مجانيق النار التى يستخدمها الجيش فى قذف كتل النار على أعدائهم .. ولكى أعرف ما هية هذا الجسر تراجعت قليلا للوراء .. حتى تبـينت أننى كنت أقف بجانب

ملعقة معدنيةوطبق به بقايا طعام .. ولقد تخيلت للحظة أننى سأصعد وأسير فوق الملعقة ولكنى تراجعت والدهشة تملأ رأسى .

وأدركت فى النهاية وأنا أختبئ خلف حبة بازلاء ملقاة بإهمال .. إننى بين أمرين لا ثالث لهما .. إما أننى فى مملكة عماليق .. أو أننى تحولت بطريقة سخيفة إلى عقلة أصبع .

إن السيدة تنوى على ما يبدو تنظيف المنضدة التى أقف عليها .. كانت السيدة كبيرة عندما اقتربت من المنضدة وأمسكت قطعة من القماش ووضعت يدها الأخرى تستند عليها بجانب حبة البازلاء فاستطعت أن أقفز فوق خاتم ترتديه فى البنصر .. ولما أدركت مدى خطورة ما أنا فيه .. وخصوصا عندما تبدأ فى استعمال هذه اليد فى التنظيف .. تراجعت . زلزال

كاد يصيبنى بالشلل عندما حركت الطبق الكبير ورمت فيه الملعقة المعدنية وهالنى ما كانت تنوى عليه.. ولكنى لم أملك سرعة الفرار من الموقف العصيب .

إنما أراه الآن .. هو خطر داهم .. إنها تمسك كوزا به ماء وتريد أن تلقيه لتنظيف المنضدة التى أقف عليها.. يا ربى .. لم يكن أحد يدرى أن هذا معناه فيضان نيلى خطير سأتعرض له .. ولم يكن أمامى سوى اختبار قدرتى على السباحة .

اندفع الماء نحوى فركبت حبة البازلاء ثم وجدتنى أصارع الأمواج التى اندفعت بى نحو شلال خطير يسقط من أعلى المنضدة مباشرة نحو الأرض.

ولحسن الحظ أن هناك حفرة مملوءة بالماء .. كانت البحيرة التى استقبلتنى بعد سقوطى من الارتفاع

الرهيب .

وسبحت حتى خرجت أسير على أرض المطبخ.. ولم يدر بخلدى حينئذ سوى أن أجفف نفسى .. فملابسى أصبحت مبتلة . وكان الطريق إلى المصباح الزيتى واضحًا .. فخيط عنكبوت عجوز كان كفيلا بتسلقه حتى أصل للدفء .

وهكذا عندما وصلت بمشقة للمصباح وجلست بجانب خزانه المعدنى الساخن .. حتى بدأت أشعر بالجفاف والدفء .

وتقريبا انتهت السيدة من عملها وغادرت المطبخ ولكن قبلاً نفخت فى المصباح فأطفأت لهبه ووجدت نفسى مرة ثانية فى أعماق الظلام .. ولكنى مكثت قليلا بجانب المصباح حتى أحسست بالجفاف التام .. ولا أخفى عليكم لقد استغللت الظلام استغلالا

جيدًا .. لأننى خلعت كل ملابسى ونشرتها على جسم المصباح المعدنى حتى جفت .. ثم أعدت ارتداءها مرة ثانية .. وبعد ذلك كان علىّ استكشاف المكان .

هبطت من مكانى مستخدما خيط العنكبوت وسرت حتى خرجت من المطبخ إلى صحن الدار .. كل شىء كان عاليا وكبيرا .. كانت الحجرات أمامى مغلقة .. ولكن المسافة تحت الباب كانت كفيلة لمرورى زاحفا على بطنى .

ودخلت حجرة واسعة .. والنور فيها تصنعه الكثير من المصابيح .. كان هناك فراش كبير وعالٍ.. وخزانة ملابس ومقاعد ومرآة .. وسمعت صوتَ أحد وكأنه يقرأ فى شىء .. ولكنى لا أتبين .

جريت إلى النافذة وتسلقت ستارتها الشبكية

حتى وصلت لارتفاع أرى منه الأشياء واضحة .

فتاة جميلة تستلقى على فراشها الوثير وتنعم بالدفء وبيديها كتاب كبير تقرأ فيه .

كل ما يجرى لى .. إلا أننى لا أملك اللحظة التى علىّ أن أعلن فيها عن وجودى ولكن هذا أيضا لم يدم كثيرا .. فلقد أعلنت عن نفسى لهذه الفتاة رغما عنى وحدث ذلك نتيجة معركة حامية .. لم أمارس فنونها من قبل .

لقد سمعت شيئا ينزلق بسرعة من السقف كأنه نجم ثاقب راجم .. ونظرت بسرعة لأجد عنكبوتا يناور من أجل كونى فريسة لم ير مثلها من قبل وقبل أن أستعد للدفاع عن نفسى .. هبط فوقى بأرجله المقوسة ذات الزغب الشائك .. وأطبق على بشدة .. وأدركت أن اللحظة التالية هى إفراز السم المخدر فى

لحمى .. فما كان منى إلا أن أترك نفسى للسقوط ويبدو أن تلك الحركة السريعة لفتت نظر الفتاة .. فقامت تندفع لتتابع المعركة الشرسة .

ورغم ما أنا فيه إلا أننى لاحظت الفتاة .. تحاول أن تجد تفسيرًا للكائن الذى يحاول العنكبوت أن يصرعه .

وكان انقضاض العنكبوت اللعين هذه المرة أشد.. فتأسفت لحاله عندما انتزعت سيفى وعاجلته بطعنة سبقت بلحظة طعنة سمه .. مما منحنى النصر.. لكن بالطبع لم أُمنح الفوز برضا الفتاة عما يحدث.. لقد نظرت لى بشدة وحملقت فى بحدة ثم صدرت منها صرخة مكتومة .

سرت أمامها على بلاطات الأرضية الصخرية وكأننى عدت توا من غزوة .. أما هى فقد جثت على

الأرض بركبتيها ويديها .. فلم أر يوما حدقتين بهذا الاتساع وفما بهذا الانفتاح .

كان عليّ فى ذلك الوقت أن أقدم نفسى لها . حتى لا تتطور الأمور أكثر من ذلك :

ـ مؤمن ... أنا أُدعى مؤمن ..

ـ يا إلهى .. يا رب السماء والأرض .. من تكون أنت ؟!!

ـ مؤمن ... أنا مؤمن .. هكذا أسمونى وأنا صغير

ـ صغير ؟ ... هل كنت يوما أصغر من ذلك ؟

ـ نعم عندما وٌلدت .. كنت طفلاً تحملنى أمى لأرضع من صدرها .

ـ ولماذا أنت بهذا الحجم ؟ .. أنت لا تكاد تبين.

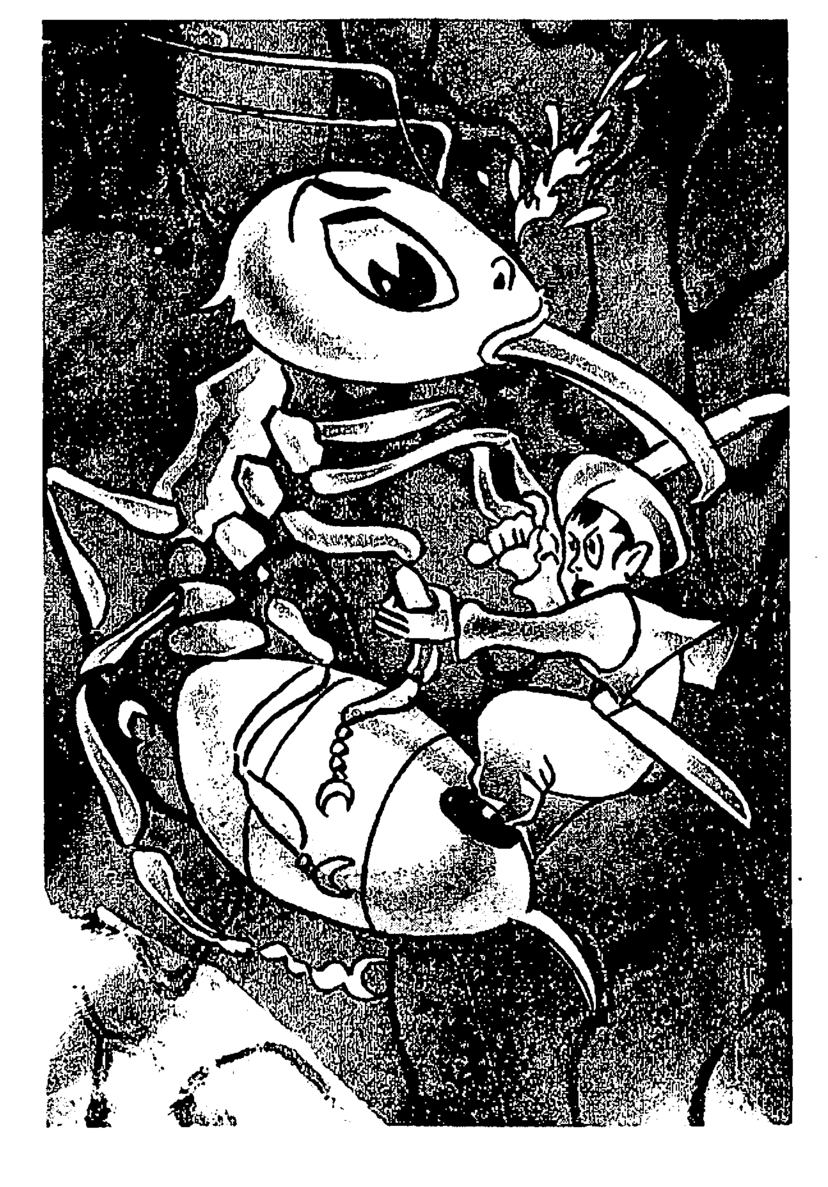
ـ لماذا لا تدعينى أسألك أنا سؤالا مشابها ؟ لماذا كل شىء فى هذا المكان كبير عملاق .. ؟

ـ هكذا نحن طبيعيون .. والبلاد كلها مثلنا .. إنما أنت شاذ .. أنت أصغر من عقلة الأصبع .

ـ يا إلهى .. ألست إذن فى قرية عماليق ؟

ـ أبدا .. كل مكان نروح فيه ونسافر له .. على شاكلتنا .. ولم أر يوما مخلوقا بشريا بهذا الحجم .. هل أنت جنى ؟

ـ لا .. لا والله .. أنا بشر أنا من معشر الإنس ومن القاهرة .. قاهرة المعز أرجوك أن تنزعى برقع الفزع الذى ترمينه فوق وجهك هذا ولتطمئنى فأنا .. مؤمن ومسلم وموحد بالله وأحفظ كتاب الله فى صدرى .



ـ ألن تؤذيني يا مؤمن ؟

ـ ها ها ها .. هذا ما أطلبه منك أنا .. أرأيت لو رفعت قدمك العملاق ثم دست به على جسدي .. فماذا يمكنني أن أفعل حينئذ ؟

ـ إذن تعالى .. تعالى ..

ومدت يا إخواني يدها البيضاء البضة .. والتقطتني أصابعها الحنون برفق شديد ثم تركتني أسقط بخفة في راحة يدها الناعمة ورفعت يديها أمام وجهها .

ـ يا إلهي .. لم أر شيئا كهذا من قبل .. ها ها ها.. ملامحك جميلة يا مؤمن

ـ أريد أولاً أن تخبريني.. ألديكم شيء يؤكل؟.. إن بطني تؤلمني من شدة الجوع .

وبكرم بالغ وضعتنى فوق وسادتها ثم انطلقت خارجة من الحجرة وبعد قليل عادت تحمل رغيفا من الخبز .. أقصد لحافا من الخبز وبحراً من العسل وجبلا من الجبن الأبيض .

ـ هل أنا فى الجنة ؟ .. ما كل هذا الخبز ؟ أنا لو مكثت شهراً لما أنهيت تناول هذه الكمية .

ـ انتظر يا مؤمن.. أنا حائرة.. كيف ستتناول الطعام ؟

ورغم ذلك فقد أخذت أقطع لقيمات من الخبز ثم تحملها هى بأصبعها وتغمسها فى العسل أو تمسحها بالجبن .. وبعد ذلك أقوم أنا بدوري في تناول الطعام الشهيّ حتى شعرت بالشبع . وعندما أردت شرب الماء الذى أصبحت أخافه بشدة .. لأن كوب الماء الزجاجى .. كان بالنسبة لى محيطاً عميقاً

مخيفاً .. كانت تضع على طرف سبابتها قطرة الماء ثم تجعلنى أرشف منها ..

ـ اسمع يا مؤمن .. لا بد أن تختفى الآن .. فوالدى سيدق الباب بعد لحظات .

وعدت للظلام مرة ثانية عندما وضعتنى فى صندوق كبير .. كان علبة الحلى الخاصة بها . ولم أكن أتوقع يومًا أن أنام بين كل هذه المجوهرات الثمينة .

وانتظرت عودتها كثيرًا .. رغم الظلام الخانق إلا أننى كنت أتنفس بحرية تامة .. ومر وقت على أتسمع لما يجرى .. وفجأة فتح الباب بشدة وسمعت صوت خبطة واحدة تبعها على الفور آهة مكتومة ثم صوت جسم يرتطم بالأرض . حاولت أن أفتح

غطاء الصندوق.. كان ثقيلا .. وبدأ الخوف يتملكنى وأنا أسمع صوت الأشياء فى الحجرة تتخبط .. وأدركت أن أحد الناس يبحث عن شىء .

وقبل أن تطول تساؤلاتى أحسست أن أحداً قد حمل الصندوق وفجأة فتح بابه بسرعة ولمحت صورة وجه رجل مخيف ينظر فى الصندوق .. ولقد أغلقه فوقى بسرعة أيضا ويبدو أنه لم يرانى وسمعته يقول لشخص آخر :

ـ ها هو الصندوق .. هيا بنا نسرع من هنا .

كان علىَّ فقط منذ تلك اللحظة أن أتخيل ما يحدث ويجرى .. فلقد كنت والصندوق نهتز على وقع خطوات الرجل الذى يحملنا .. نجرى ثم نقفز ثم أخيراً أصبحنا فى عربة تجرها جياد .. نعم فصوتها

كان شديد الوضوح

ترى أين أنا وماد جرى للفتاة الطيبة ؟ .. وما هو المصير بعد ذلك ؟

وتوقفت العربة وحملنى رجل وأخذ يسير ثم صعد سلمًا ثم فتح بابا ودخل وأغلقه وراءه .

وأدركت أن أمرى سينكشف بعد قليل .. لأنه فيما يبدو الآن قد تمت عملية سرقة لمجوهرات الفتاة الطيبة . ولا بد بعد قليل سينفتح الصندوق للصوص حتى يعاينوا الغنائم ودار حوار :

ـ أين السيد باسيلى ؟

ـ إنه فى الحمام .. وسيخرج الآن .. هل انجزت المهمة ؟

ـ بنجـاح منقطـع النظيـر يا جـورج .. ولكنى ضربت الفتاة بشدة .. أخشى أن تموت .

ـ هل رآكم أحد ؟

ـ لا أعتقـد .. إن صديقى ألبرت كان فـى سرعة الفهد .

ـ حسنًا .. ها هو السيد باسيلى يفتح الباب .

وساد يا إخـوانى صمت مطبق .. ويـبدو أن هذا الباسـيلى رجل شديد الأهـمية .. كـان علىَّ فى هذه اللحظة أن أختـبئ قـبل أن يفـتحـوا الصندوق .. فأخذت أندس فى الحلى والمجوهرات عسى أن أصل لقـاع الصندوق .. فقـابلت فى طريقى نيشـانًا دائريا على شكل علبة ولها باب مفـصلى .. فرفعت الباب الشـبكى ونزلت تحـتـه ثـم أغلقـتـه فـوقى .. وهكذا

أمكننى رؤية كل شىء من تحت الخيوط الذهبية المتشابكة لباب النيشان .. فى حين أعتقد أنه من الصعب على أحد أن يرانى .

وحضر باسيلى :

ـ ها .. كيف الحال يا بترو ؟

ـ كل شىء على ما يرام يا سيدى .. ها هى مجوهرات ابنة الصائغ كلها بين يديك .

ـ ها .. ها ها ها .. حسنًا .. حسنًا يا بترو .. إن لك مكافأة كبيرة .. هيا فلنتعرف على الغنيمة الثمينة.

وفتح الصندوق وسط ضحكات السيد باسيلى المخيفة .. وقبض بيده الكبيرة كبشة من المجوهرات ورفعها أمام وجهه بينما كنت ومازلت فى الصندوق

ثم ضـحك ضـحكة عـاليـة . وألقى بالحلى على المنضدة ثم حمل الصندوق وقلبه دفـعة واحدة وأخذ يتفحص كل قطعة على حـدة .. حتى مسك النيشان بأصابعه وظننت أنها النهـاية .. ولكنه لم يعره انتباهه وألقـاه بى مـرة ثانيـة . ثـم جـمع المجـوهرات كلهـا ووضعنـا مرة أخرى فى الصـندوق وأغلقه فـرجعت للظلام اللعين وسمعت :

ـ والآن يا بترو .. علينا أن نتكتم هذا الأمر ولنعد العدة للرحيل .. هذه المجوهرات سـتجعلنا ملوكًا .. فكن مستعدًا للسفر بعد غدٍ فى الصباح .

وبعد ذلك حملنى أحـدهم ثم وضعنى فى شىء له باب مـحكم من أعلى وعلى ما يبـدو أنه صندوق كـبيـر .. ثم انقطع أى صـوت بعـد سمـاعى لبـاب

الحجرة وهو يغلق .. وأخذت أفكر .. والقلق يعتصرنى من أجل الفتاة الطيبة التى أطعمتنى وسقتنى... ونازعتنى رغبة إنقاذها وإعادة الجواهر.. ولكن ماذا أفعل وأنا هكذا محبوس فى صندوق من فوق صندوق .. وتذكرت الدرويش الذى دعانى لدخول كم ردائه .. يا ربى ماذا أفعل الآن .. ؟

فتحت علبة النيشان الذهبية وخرجت وأخذت أتسلق السلاسل والحبات والجواهر حتى أصبحت أمام فتحة الصندوق وحاولت أن أرفعها فلم أقدر .. وأخذت أحاول ولكنى فشلت .. وكان الصندوق يهتز بى كلما حاولت رفع الغطاء .. فواتتنى فكرة .

أخذت أقفز داخل الصندوق وهو يهتز ويهتز فأدركت أنه بإمكانى الخروج .. وعمدت إلى

الجـواهر أحمـلها وأضـعـها على جـانب واحـد من الصندوق .. كان عـملا شاقًـا .. إلا أننى أفلحت فى جعل الثقل فى ركن واحد .. وقفـزت قفزة واسـعة وشديـدة فمـال الصندوق للأمام .. مما جـعل الغطاء ينفـتح بحـيث أتمـكن من الخـروج .. وزحـفت على بطنى وخرجت إلى ظـلام آخر ..هو ظلام الصندوق الكبير .. ولكنها خطوة جيدة .

أصعب شىء فى هذه الدنيـا عندما تكون ضئـيلا صـغـيـراً والناس من حـولـك كـبـار عـمـاليق .. والأصعب مـن ذلك أن تحبس .. إن الحـبس موت .. وأعـتـقـد أنه ليس أشـق على الإنسـان مـن انعـدام الحـرية.. فـيـمكنك أن تتـحـمل الجـوع أو البـرد أو العطش أو الحـرمان من كل شىء تحبـه ولا يمكن أن

تتحمل مرارة القيد وضياع الحرية .. وهكذا ستفعل مثلى بكل ما أُتِيتُ من قوة وذكاء من أجل أن تصبح حرًا تفعل ما تريد .

كان الصندوق الكبير يحوى أقمشة .. وعلى ما يبدو هى ملابس وأغطية .. وكان علىَّ أن أتحسس الأركان فى هذا الظلام عسى أن أجد مخرجًا .. لأنه لا يمكننى بالطبع فتح الباب الضخم لهذا الصندوق.

وحالفنى الحظ إذ كان هناك ثقب دائرى فى أحد ألواح خشب الصندوق يندفع منه ضوء الحجرة فلم أجد مشقة فى الخروج .. وسقطت على الأرض أنظر حولى .. ثم أخذت أجرى نحو الباب واستطعت أن أزحف من تحت عقب الباب لأجد نفسى فى ردهة شديدة الاتساع لها باب خرجت من

تحته لأجدنى على سلم خشبى يؤدى إلى دور سفلى شديد الصخب وتتصاعد منه أبخرة التبغ وتتعالى ضحكات النساء والرجال .. وبدا لى أننى فى خمارة مفسدة .

وترددت فى النزول .. فكرت كثيرًا فى جواهر الفتاة ابنة الصائغ .. وزادت حيرتى .. فبعد غد سوف يسافر بها اللص باسيلى ورفاقه .. ولا بد من عودة الكنز إلى أصحابه كما لابد أن أطمئن على صحة الفتاة فقد تكون حتى الآن ما زالت فى خطر.

ولكنى لا أعرف الطريق إلى بيت الصائغ .. وحرت حيرة شديدة .. ثم لاحت لى فكرة جيدة .

على السياج الخشبى للسلم « درابزين » تمكنت من التزحلق حتى وصلت للدور السفلى ثم أخذت

أجرى بين أرجل السكارى والراقصين حتى فررت ولم يشعر بى أحدهم .. وخرجت للشارع .

كانت وسيلة التنقل هى العربات الخشبية ذات الجياد .. وقفت فى حيرة من أمرى إلى أن عثرت على بغيتى .. كانت هناك امرأة عجوز تسير وهى لا تكاد ترى أمامها .. وعلى الفور جريت نحوها وتسلقت رداءها حتى رأسها واختبأت فى غطاء رأسها .. حتى توقفت بى أمام الحانة .. فلما مر رجل صحت فيه مقلدا صوت النساء المسنات وكان الضوء ضعيفا فى هذا الليل ، فظن الرجل أن المرأة العجوز هى التى تتكلم :

ـ قل لى يا ولدى .. كيف أذهب إلى بيت الصائغ؟

ـ أتريدين بيت الصائغ يا سيدتى ؟ .. عليك بركوب أى عربة متجهة ناحية الشرق وفى نهاية الطريق يسهل العثور عليه .. فالبيت تحته دكان كبير لبيع المصاغ .. ولا يوجد غيره فى البلد .

وقبل أن يتم الرجل كلامه كنت قد قفزت لألحق بإحدى العربات المتجهة شرقًا .

كان ركوبى فى اللحظة الأخيرة .. فلم أتمكن إلا من التعلق بعجلة العربة .. فكم كان مرهقًا أن تستقل عجلة تندفع بسرعة .. فتارة فوق وتارة تحت والدنيا تدور بدون توقف .. ولولا تشبثى الجيد لهويت كالقذيفة إلى ما لا تحمد عقباه .

وانتهت رحلة العذاب ورأيت محل الصائغ وبه أضواء مشاعل كثيرة وكان الصائغ يقف أمام بضاعته



فأدركت أنه لا يدرى ماذا جرى لابنته وقبل أن أدخل الدكان .. رأيت الساحة الواسعة الخربة بجوار البيت والتى أسرنى فيها النمل وأدركت أننى فى المكان المطلوب .

ولم يكن هناك وقت ليضيع هباء .. اندفعت أجرى نحو الدكان ودخلته ثم مسكت ذيل رداء الصائغ وأخذت فى جذبه .. ولكن يبدو أن الرجل مشغول فى تفحص جوهرة ثمينة فلم يشعر بى إطلاقًا .. فقررت مواجهة أخرى .. فتسلقت رداءه بصعوبة حتى أصبحت أتمكن من القفز على مكتبه الذى يقف خلفه وسرت أمامه أنظر إلى وجهه ورغم ذلك لم يرنى .. فلم أجد بدا من القفز فى علبة الجواهر التى بيده ينظر بها من خلال عدسته .

وإنى لأتخيل مدى الرعب والدهشة التى أصابته

عندما رأى فى عدسته إنسانا يحملق فيه .

وكان مـا تخيلت فـلقد قفـز الرجل العـجوز من مكانه .. ثم عاد ينظر إلى محملقًا بشدة :

ـ يا إلهى .. يا إلهى .. ماذا تكون أنت ؟

ـ لا يهم يا سيـدى من أكون الآن .. ولكن عليك أن تلحق بابنتك .. لقـد اعتـدى عليها الـلصوص .. وسرقوا صندوق الجواهر من حجرتها .

ـ ماذا تقول ؟

قـبض عليٍّ الصائغ العـجـوز بيده وجـرى يغلق الدكان ثم اندفع نحو البيت وأمكننى أن أرى من بين أصابعـه جثة الفتـاة وهى ملقاة بأرض الردهة وتنزف الدماء من رأسها .

ولم أدر ما جـرى لى لأن الصائغ العجـوز ألقانى

من يده فسقطت من ارتفاع كبير وأغشى على فى الحال .

كم مضى علىَّ هكذا ؟ عندما أفقت لم أكن أدرى كم مضى من الوقت .. ولما فتحت عينى كانت الفتاة معصوبة الرأس تضحك لى وأدركت أن وقتًا طويلا قد مضى وأنا فى غيبوبة :

ـ حمدا لله على سلامتك أيها المسلم الصغير .

ـ سلمك الله يا فتاتنا الطيبة .. كيف حالك الآن؟

ـ بخير .. لولاك لضاعت حياتى وأنا أنزف الدم.. أشكرك .

ـ لا تشكرينى .. فالشكر لله . ولكن قولى لى .. كم مضى من الوقت.. يبدو أنني فقدت الوعي لفترة طويلة؟

ـ ليلة ونهار .

ـ يا إلهى .. أحقًا ما تقولين ؟

ـ نحن الآن مقبلون على الليل .. ولقد حضرت وأنقذتنى ليلة أمس .

ـ إذن .. باكر ستسافر جواهرك بعيدًا عن البلاد .

ـ ماذا تقول ؟ .. كيف علمت ؟

وبعدما حدثتها فى حضور والدها عن عصابة باسيلى .. إذ بوالدها ينتفض :

ـ هيا بنا يا عقلة الإصبع .. علينا بالذهاب إلى عمدة البلد ونستعين بالشرطة .

وحملنى الصائغ وجرى بى إلى بيت العمدة .. حيث كان هناك ومعه فى البيت اجتمع أناس كثيرون

من أجل مصالحهم وشكاويهم .. وأخبر الصائغ العمدة بالأمر ثم فتح يده ووضعنى على مكتب العمدة .. فدهش الرجل دهشة عظيمة من شكلى .. وتحلق الناس حولى .. فإذا الوجوه تحملق فى بشدة.. وهنا صاح العمدة فيهم :

ـ ابتعدوا أيها الناس .. ابتعدوا لنستمع إلى عقلة الإصبع .

وحكيت ما جرى للعمدة فأرسل من فوره رجال الشرطة إلى حانة باسيلى وعادوا بعد قليل ومعهم صندوق المجوهرات إلا أنهم فشلوا فى القبض على باسيلى وصاحبه بترو .. وفرح الصائغ فرحة عظيمة بعودة المجوهرات ولما شكر العمدة ورجال الشرطة أراد أن يأخذنى معه إلى البيت :

قال له العمدة :

ـ ها ها ها .. لك أن تحـمل مـجوهراتك أيها الصائغ وترجع إلى بيتك ولكن لن تأخذ عـقلة الإصبع .. إنه تحفة إنسانية .. هناك الكثير من الناس سيشغفون برؤيته .. كما أن العلماء سيعتبرونه ظاهرة غـير طبيـعية بالمرة .. ولا بد من إجراء التجارب العلمية عليه .

كـادت هذه الكلمـات أن تعـصف بى .. ولم يملك الصائغ حيلة إلا أن قال لى :

ـ إن عدت يومًا لبيتى يا صغيرى فلك منى جوهرتان صغيرتان ولكن لا تقدران بثمن .. أما إحداهما فمن أجل إنقاذك لابنتى وأما الأخرى فمن أجل إنقاذك لجواهرى الثمينة .

وانصرف الصائغ والحسرة تملأ عينيه .. وانصرف

الناس أيضـا .. وأصبحت والـعمدة وحـدنا .. فنظر إلى باستغـراب وأخذ يتفحصنى ثـم يضحك ثم فتح درج مكتبه وحملنى ثم وضعنى بداخله وأغلقه .. ثم خرج وأغلق الباب وعدت للظلام المرير .

ماذا يظن هؤلاء القوم بـى .. ؟ هل أنا ضئيل إلى هذا الحد ؟ رب إنـى أدعوك بدعوة رسـولنا الحبـيب عندمـا هزأ به الناس وقـذفـوه بالحـجـارة وأغـروا به سفهـاءهم فلجأ إليك قائلا : « اللهم إنى أشكو إليك ضـعف قـوتى وقلة حـيلتى وهوانـى على الناس .. يا أرحم الراحـمين .. أنت رب المسـتـضـعـفين وأنت ربى .. إلى من تكلنى ؟ إلى بعيـد يتـجـهمنى ؟ أم إلى عدو ملكتـه أمرى ؟ إن لـم يكن بك غـضب علىَّ فلا أبالى .. ولكن رحـمـتك هى أوسع لى .. أعـوذ بنور وجهك .. الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيـا والآخـرة .. من أن ينزل بى غـضـبـك أو يحل

عليَّ سخطك .. لك العتبى حتى ترضى .. ولا حول ولا قوة إلا بك » .

حاولت بعد ذلك أن أنام.. ولكنى لم أستطيع النوم فجلست أفكر فيما تخبئه لي الأيام من مفاجآت.

ورغم ذلك فلم تنقطع المفاجآت.. هناك أحد الأشخاص يحاول فتح الدرج عنوة هناك من يبحث عنى .

ـ من ؟ .. السيد باسيلى ؟!!

ـ أهكذا أنت أيها الصغير اللعين ؟ .. أأنت الذى أفسدت عمليتى المصيرية ؟

ـ هل أضعه تحت حذائى يا سيد باسيلى ؟

ـ هل أصابك الغباء يا بترو .. ؟ احترس .. قبل أن يقفز من الدرج فلا نستطيع العثور عليه . ولا تقدر على تنفيذ خطتنا .

بينما كان بترو يضعنى فى علبة ثقاب ذات فتحات للتهوية .. أدركت أن هناك خطة قذرة قد نواها هذا الباسيلى الملعون .. كما شعرت أن لى دوراً مهما فى هذه الخطة .

كانت العلبة المعدنية ذات الفتحات سجنًا مريرًا وشعرت بالحزن العميق وكلما تذكرت الدرويش الذى ألقى بى فى هذه الحياة المتعبة أكاد أدعو عليه ولكنى حتى الآن أشعر بأنه لم يرسلنى فى هذه الرحلة إلا لسبب وجيه .. ولا بد بإذن ربى أن أعرفه عما قريب .

وذهبنا إلى بيت وضيع .. كان ملاذا للأشرار بعد بحث الشرطة عنهم .. وكنت بقدر خوفى من الخطة المزعومة .. إلا أن شوقا اعترانى لمعرفة تفاصيلها .

ـ اسمع أيها الإنسان الدقيق .. أنت ستعيد إلينا

مجوهرات الصائغ كما تسببت فى ضياعها منا .

ـ وإن لم أفعل ذلك ؟

ـ سوف تفعل ولا خيار لك .. لأن عاقبة رفضك الموت .

لم أكن أبدًا لأشترك فى عمل كهذا .. مهما كلفنى حتى الموت .. ولكن كان لا بد لى من متابعة تفاصيل ما يقولون .. عسى أن يكون هناك مخرجًا لى فتظاهرت بالخوف من تحذيره لى :

ـ ولكن .. ولكن أنا لا أريد الموت يا سيدى .

ـ إذن .. فعليك الامتثال والطاعة ... وأعدك أن أمنحك قدرًا من الحرية والمال ولكن .. هذا بعد أن تتم المهمة بنجاحٍ .

ـ وماذا علىَّ أن أفعل يا سيدى ؟

ـ أصدقاء لنا الآن قد اختطفوا الفتاة التى أنقذتها بالأمس .. وهى فى طريقها إلينا الآن .. نحن لا نريد أن نحرق قلب والدها عليها .. أبدًا .. ولكننا فعلنا ذلك من أجلك أنت .

ـ من أجلى ؟ !!

ـ بلى .. أتحسبنى من الغباء أن أتركك هكذا دون أن أضمن عودتك بعد تنفيذ المهمة .. وبنجاح ؟

ـ وما ذنب الفتاة الطيبة فى ذلك ؟

ـ ذنبها أنها أطعمتك وأحبتك .. وأنت تعلم الآن أنك إذا أخفقت فى المهمة .. أو حاولت .. أن تبلغ الشرطة .. ستكون الفتاة جثة هامدة .

ـ أوغاد .. ملاعين .

ـ ها ها ها .. سأسامحك يا بنى .. سأسامحك .. فأنت فى موقف لا تحسد عليه أبدًا .

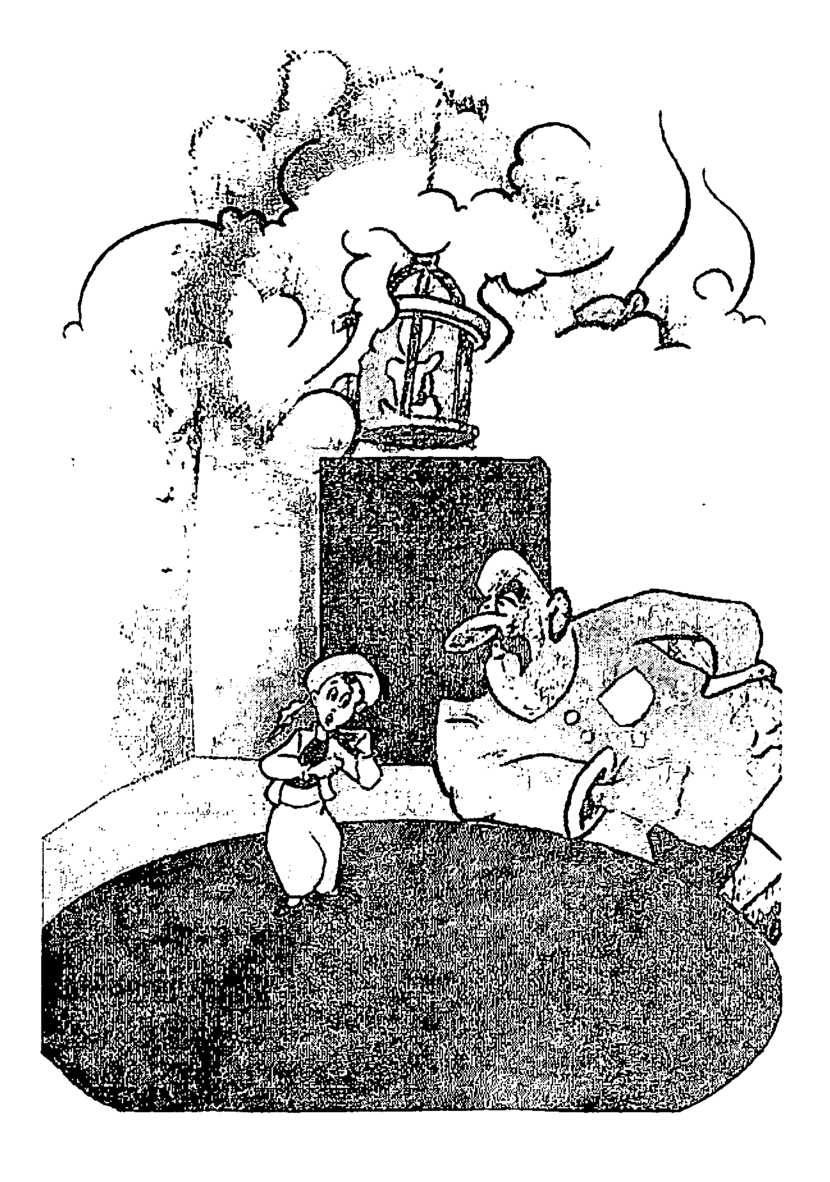
كاد الغضب أن يأكلنى .. ولكن ماذا أفعل ؟ .. حاولت إقناعهم ولكن الوقت فات .. لقد أحضر أفراد العصابة الفتاة الطيبة وعليها غطاؤها الذي كان على فراشها .

ـ اسمع يا عقلة الإصبع .. إن الصائغ لن يكتشف اختفاء الفتاة إلا فى الصباح .. فإذا جاء الصبح ولم يجدها فى الفراش سيبلغ الشرطة وسنكون نحن أسرع فى قتلها والفرار .. وأنت بالتأكيد لا تحب ذلك .. هه ؟

ـ وغد .. حقير .. لص قاتل .

ـ هكذا أنت تضيع الوقت يا بنى .. أليس كذلك؟ وهذا ليس فى صالحك ولا فى صالح الفتاة الجميلة .

ـ إذن قل لى ماذا علىَّ أن أفعل ؟ .. وبسرعة ..



ـ والد هذه الفتاة .. الصائغ .. أخفى كل المجوهرات الثمينة فى خزانة لا يمكن اقتحامها .. وضع مفتاحها بداخلها .. واحتفظ بالنسخة الثانية فى سلسلة حول رقبته .. ونحن لا نقدر أن نأخذها.. لذا ..

ـ لذا تريدنى أنا أن أحصل على المفتاح الذى فى رقبته .

ـ لا .. سيشعر بك .. إنه يشعر بدبيب النملة .. ولكن أنت ستدخل الخزانة وتحضر لنا المفتاح الذى فى جوفها ..

ـ كيف ؟ .. كيف ذلك ؟

ـ بسيطة يا ولدى .. بسيطة جداً .. من فتحة المفتاح

ـ وكيف سأخرج المفتاح من فتحة المفتاح

ـ ها ها .. لا .. ستفتح لنا من الداخل .. فالمفتاح يمكنه ذلك .

ـ وماذا بعد ؟

ـ لا شيء .. ستكون مهمتك قد انتهت .. أما نحن سنفرغ محتويات الخزانة ونغادر البلاد قبل الصباح .. وتعود أنت وصديقتك إلى البيت سالمين .

ـ هل نبدأ من الآن ؟

ـ نعم .. إنه الوقت المثالى .. هيا .

كانت الفتاة تنظر إليَّ وعلى وجهها الرعب يكاد يتكلم .. ولأول مرة أشعر بأننى بين نارين .. إما أن أسرق وأساعد فى السرقة أو أموت وتُقتل هذه الفتاة الطيبة .. فكان على أن أفكر .. وتمنيت لو كنت فى حجمى الطبيعى لألقنهم درسًا لن ينسوه .. ولكن شاء الله ذلك .. ولا اعتراض على مشيئته .

وحقيقة لم يكن أمامى إلا الاختيار الأهون والأسلم .. وهو التضحية بالمال فى سبيل الروح .

انطلق بى هؤلاء الأشرار وما زلت فى علبة الثقاب بجيب باسيلى .. حتى وصلنا إلى منزل الصائغ .. كان الظلام دامسًا ويبدو أن الصائغ المسكين كان يغط فى نوم عميق .. وكذا الخادمة التى كادت من قبل أن تغرقنى بالماء .. وكان اللصوص يحفظون كل شبر وحجر فى المنزل ويبدو أنهم درسوا الأمر جيدا فى العديد من المرات .. فلم يبذلوا جهدًا فى الوصول إلى حجرة المكتب والتى بها خزانة الصائغ .

ـ والآن يا صغيرى .. ستدخل من هذه الفتحة .. وإياك أن تتأخر فى الخروج .

ـ وإذا لم أجد المفتاح ؟

ـ ستجده يا صغيرى .. ستجده أو ستموت الفتاة قبل شروق الشمس .

لم أكن أتوقع يومًا أن أمر من فتحة طبلة باب منزل .. وها أنا الآن أعبر فتحة طبلة خزانة لأعود إلى الظلام مرة أخرى .

لم أكن أرى أى شىء .. أخذت أتحسس الأشياء.. وليس أمامى سوى مجوهرات وحُلى وجنيهات معدنية وورقية .. كل ما أهمنى هو مرور الوقت .. أخشى أن أفشل قبل الصباح . فأخذت أبحث بكل قوتى حتى عثرت عليه فى النهاية وكانت المهمة شاقة لأن المفتاح فيما يبدو ثقيل وكبير بالنسبة لى ..

وبعد عدة محاولات نجحت فى حمله وتثبيته فى فتحة الطبلة .. وبالطبع وقفت على مقبضه وأخذت

أقفز حتى يدور .. ثم أقع وأعود لاهثا للقفز حتى نجحت فى إدارته فانفتح باب الخزانة .

ـ مرحى .. مرحى يا عقلة الإصبع .

ـ هل ستنجز وعدك يا سيد باسيلى ؟

ـ لا شك فى ذلك .. فأنا لص شريف .. والآن ارجع إلى علبة الثقاب .

وضعنى باسيلى فى علبة الثقاب .. ولكنه فى غمرة الارتباك والفرحة بالكنز .. نسى أن يغلق العلبة كما كانت وتمنيت ألا يتذكر ذلك أبدًا .

وحمل اللصوص كل المجوهرات حتى أفرغوا الخزانة تمامًا .. وعادوا من حيث أتوا .. وأخرجنى باسيلى ووضعنى كما أنا فى العلبة بجانب مقعد الفتاة التى كانت مقيدة .

ـ فى الصباح سيعثرون عليكما .. أما نحن

فسنكون فى مكان آخر لا يقدر عمدة القرية ولا الشرطة على الوصول إليه أبدًا .. ها ها ها ..

أحسست بشىء من الراحة إذ تحققت لنا النجاة من الموت قتلا .. ولكن تألمت بشدة من أجل مجوهرات الصائغ التى قضى عمره فى جمعها وأحسست بوخز الضمير .. كيف أننى ساعدت هؤلاء الأشرار فى ذلك .؟

ولم تقدر الفتاة من غمرة خوفها أن تتكلم . أما أنا فلم أنتظر كثيرًا وبمجرد خروج اللصوص من الحجرة قفزت خارج العلبة مستعدًا :

ـ اسمعى أيتها الفتاة الطيبة .. إما أن أعيد المجوهرات لوالدك أو أموت دون ذلك .. إلى لقاء قريب .

جريت بأقصى ما أملك من قوة واستطعت



اللحاق باللصوص وهم يستقلون عربة الجياد وعلى الفور أخذت فى تسلق أجزائها حتى وصلت لمكان أشعر فيه بالأمان .. ولم يكن فى رأسى حتى تلك اللحظة شيئًا أدبره . إنما تواجدى مع المجوهرات أسعدنى كثيرًا .

وانطلقت الجياد تجر العربة واللصوص بداخلها يمرحون سعداء بنجاح الخطة .. أما أنا فكان علىّ أن أفعل شيئا يوقف تلك العربة هذا من جهة .. ومن جهة أخرى يقضى على اللصوص أو على الأقل يبطل قوتهم وشرهم .. وأيضا يعيد المجوهرات إلى أصحابها .

كاد عقلى أن يتوقف .. إن حجمى الضئيل يعوقنى كثيرًا عن العمل .. بل تمامًا وتذكرت أننى لا بد أن أتوقف عن التفكير فى سلبياتى وأنه لو تم لى

التفكير في إيجابياتى سأجد حلا .. وبدلا من اعتبار ضآلة حجمى معوقًا يمكن اعتبارها سلاحًا خطيراً .

وعندما فكرت بهذه الطريقة لمعت فى رأسى فكرة خيالية .. وإن كنت أعتقد أنها مغامرة خطيرة قد أذهب ضحيتها .. ولكن بقليل من التفكير أمكن لى الاهتداء لكل شىء سأنجز به عملية الإنقاذ الهامة.

كان علىَّ فى الخطوة التالية أن أسير فوق ظهور الجياد .. لذا فقد أخذت أتحسس وأوازن حركاتى ورغم اهتزازات العربة الشديدة .. استطعت أن أركب الجواد القوى فى مجموعة الجياد .. وزحفت على بطنى فوق ظهره ثم تشبثت بالشعر الذى فوق رقبته حتى وقفت فوق رأسه تماما ونظرت .

كان منظر أذن الحصان كالمتاهة المعقدة .. ولكن حسب معلوماتى هو طريق واحد له باب واحد ..

وإذا دخلت فلن أضل الطريق إلى العودة ولكن بعد أن تتم المهمة .

وعندما وقفت على بوابة أذن الحصان جعل يهزها هزًا عنيفًا حتى كدت فى لحظة أن أسقط تحت حوافر الجياد .. ولكنى فى قفزة خطيرة .. أصبحت داخل الأذن تقريبًا .

وأصيب الحصان بالجنون .. وصهل صهيلا مزعجًا .. ومع اعتذارى له .. كنت كلما فعل ذلك أجدنى أندفع أكثر داخل دهليز الأذن وأتحرك لأزيد من جنونه ..

وفى الحقيقة لم أكن أستطيع رؤية ما يحدث بعد ذلك فقد تعمقت حتى أصبح الجو هادئا فى داخل رأس الحصان .. فقد كنت أشعر باهتزازات بسيطة.. وعندما أشفقت على الحصان .. قررت الخروج .

ويا لها من فكرة بارعة تلك التى فكرت .

لم أفتأ أنظر خارج الأذن .. حتى وقفت على حقيقة الموقف .. وكما توقعت فإن الحصان هاج هياجًا عظيمًا .. وأخذ يتلوى ويقفز أثناء اندفاع العربة الرهيب .. وهاجت بقية الجياد لهياجه .. وتحولت إلى حادثة شنيعة .. عندما سقط الجواد وتعثرت فيه بقية الجياد فانقلبت العربة .. وهى على سرعتها الشديدة .. فخرجت أنا من أذن الحصان لأشعره بالراحة لأجد كل شىء على الأرض والعربة محطمة واللصوص فى حالة مزرية .

أشفقت على الجياد ولم أشفق على اللصوص وهم فى غشية مصابون بجروح كثيرة ..

وخرجت أقف على الأرض أنظر لما وفقنى الله إليه وأدعو أن يتم علينا هذا النصر عندما يحضر

العمدة والشرطة .

مكثت طويلا بجانب العربة والجياد .. أفكر مرة فى حالى ومرة فى الدرويش ومرة فى الصائغ وابنته والمجوهرات .. ثم أزداد حيرة عندما أفكر فى كيفية العودة إلى أمى وإلى طبيعتى .

واشتدت حرارة الشمس .. ولكنه لم يكن سراب ذلك الذى أراه من بعيد .. إنهم رجال الشرطة والعمدة ومعهم الصائغ .

واقتربوا رويدا رويدا حتى وصلوا وهم فى دهشة.. ولما رأونى أكبرونى على ما فعلت .. وظنوا بى الظنون .. وحاروا جميعهم فى الكيفية التى حطمت بها أسطورة باسيلى وأعوانه من الأشرار .

ـ يا عقلة الإصبع .

ـ اسمى مؤمن يا سيدى العمدة .

ـ يا مؤمن .. لقد فعلت فعلا عظيمًا .. وأنا ندمت على كونى قررت الاحتفاظ بك لتجارب العلماء .. فأنت حر فى نفسك ولتذهب أينما شئت.

أما الصائغ فحملنى فى عربته وهو يكاد يطير من الفرح .. ولما وصلنا إلى المنزل استقبلتنى ابنته استقبالا حافلا بما لذ وطاب .. وكنت أريد أن أدخل المطبخ .. لأعود فى نفس الشق الذى أتيت منه وأخيرا بحت للصائغ بهذه الرغبة .

ـ لك ما شئت يا ولدى .. ولكن اسمع .. لك عندى هدية .. خذ هذه الجوهرة الدقيقة نظير إنقاذك لابنتى ، وهذه الماسة الدقيقة نظير إنقاذك لجواهرى الثمينة .. اسمع هذه الماسة أعطاها لى شخص ذات يوم على سبيل الأمانة .. ومضى عليها عندى ما يزيد عن العشرين عاما ولم يعد صاحبها الذى إن رأيته



الآن لا أعـرفه ولا يعـرفني .. أعـتـقد أنهـا الآن من حقك يا مؤمن ..

اتجهت إلى المطبـخ وودعت الأسـرة السعـيـدة محـملا بعـبارات الشكر والعـرفان ودفعنـي الصائغ بأصابعـه إلى شق الجدار .. وعجبـا إذ رأيت حارس النمل ذاته كأنه ينتظرني .. فـحملني بأقصى سـرعته حتى رماني في دهليز تـرابي طويل أخذت أسير وأنا أشم رائحة الوطن .. وكل ما يـشغل بالي هذه الماسة وسألت نفـسي .. لماذا أخذ أمانة أودعـها رجل لدى الصـائغ ؟ ولماذا أنا ولأول مرة أحـمل جـوهرتين .. وليست واحدة ككل مغامرة ؟

وجـدت فـجأة نفـسي أجـري وأنا أرى حـوائط مسجد البلدة التي عشت فـيها أيام حياتي .. ولمحت الحـوائط الجمـيلة للمـسجـد والمنبـر والقبلة أخـذت

أجرى ثم قفزت برأسى كأننى أولد من جديد .. لأجدنى أتدحرج على حصيرة المسجد المُمَسَّكَة الطيبة .. وعندما استدرت إذ بى أمام الدرويش ذاته.. كان يبتسم ثم قال لى :

ـ حمداً لله على سلامتك يا مؤمن .. ها .. هل أحضرت الماسة ؟

لم أستطع التفكير .. ومددت يدى إليه بها فضحك وقال :

ـ أشكرك يا ولدى .. لقد أعطيت هذه الماسة للصائغ على سبيل الأمانة منذ ما يقرب من العشرين سنة .. وها أنت تكلفت مشقة إعادتها لى .. جزاك الله خيراً يا مؤمن .

وقفت أنظر للرجل وأتعجب وكأن لسانى قد شلته الدهشة :

- يا ولدى يا مؤمن .. هل أعطاك الصائغ جوهرة التاج التى تبحث عنها ؟

- نعم . نعم نعم يا سيدى .. الحمد لله .

- ها أنت تتعب فى الحياة من أجل أهدافك السامية يا مؤمن وفى ذات الوقت لا تخطئ التقدير .. ولا تسرق ولا تتوانى فى الدفاع عن الحق .. بل أنت فى سعيك من أجل نفسك تحمل مسئولية رعاية الآخرين والسعى من أجلهم .. وهذا هو حقًا المسلم المؤمن .. رعاك الله يا ولدى .. رعاك الله ..

تمت بحمد الله تعالى